الخامس، الذي كان يَسعى إلى المقاومة مُذْ أصدَرَ **لاون الثالث** مرسومه الجائر. كما ومنَ المُؤَكَّد أنَّ مُجرَّد وجوده بعيدًا عن مُتناول الجيش الإمبراطوري قد وَفَّرَ له حُريَّة التفكير لا مثيلَ لها. وينبغي الإقرار أيضًا بأنَّ وفاته قد حصَلَت قبلَ شَنِّ الإضطهاد العنيف على الأيقونات أيَّام **قسطنطين الخامس**، ولكن بعد أنْ وَضَعَ الأُسس التي سيبني خُلفاؤه في هذا المجال لاهوت الصُّور المُقَدَّسة، فكانَ بذلك أوَّل مَنْ حاوَلَ التَصَدِّي لمُحارِبي الأيقونات بلاهوت مُحكَم الإعداد.

وهنا، لا بدَّ من الإشارة ولو بشكلٍ سريع إلى أبرز الأحداث في سيرة القدّيس يوحنا الدمشقيّ.

هو منصور بن سرجون، وُلِدَ في دمشق نحو سنة ٦٧٥ ضمن أُسرةٍ من المعنيِّين بجمع الضرائب لدى أصحاب السُلطة. وقد خَدَمَ جَدُّهُ منصور، ثُمَّ والده سرجون على السَّواءِ كُلًّا من الفُرسِ والرُّوم والمسلمين. لا بَلْ إنَّ والده قد ساسَ الإدارة الماليَّة كلّها أيام الخليفة معاوية، كما كان يمثِّل جماعة المسيحيِّين الخلقيدونيِّين الأرثوذكس المستقيمي الرأي في المدينة، لدى أمير دمشق.

وهكذا زاوَلَ القِدِّيس أيضًا المُهمَّةِ عينها، فأشرَفَ لسنواتٍ عِدَّة على تحصيلِ الضرائب من مسيحيِّي مقاطعة دمشق لدى أميرها. وفي هذه المرحلة من حياته، إحتفَظَ بمعرفة عميقة للإسلام نتيجة لعلاقاته في البَلاطِ الخلافيّ وخارجه. (أنظر كتابه «الهرطقة المئة»).

وفي سنة ٧٢٠ قرَّرَ الخليفة الجديد أنْ يُقصِي المسيحيِّين عن المَناصِب الإداريَّة العُليا، فانسَحَبَ القدِّيس إلى دير القدِّيس سابا المُتقَدِّس بالقُربِ من أورشليم، حيثُ ترَهَّب قَبلَهُ قُرما أخوهُ بالتبَنِّي، وحيث عاشَ أيضًا مُعلِّمه قُرْما الرَّاهِب الذي كانَ قد لَقَّنَهُ العُلوم في صباه، وكانَ قد ناهزَ آنذاك الأربعين سنة من عُمرِهِ فعُرِفَ باسم يوحنَّا. ثُمَّ ما لَبِثَ البطريرك الأورشليمي يوحنَّا الخامس أنْ رَسَمَهُ كاهنًا، فأصبَحَ مُستشاره اللاهوتيّ. وإلى هذه الفترةِ من حياته يعود نتاجه الفكريّ، سواءٌ في اللاهوت والتفسير الكتابيّ أم المواعِظ، والأناشيد، والمقالات الدفاعيَّة. (ملحوظة: المواعظ المميّزة لميلاد ورقاد والدة الإله الكليّة القداسة والدائمة البتوليَّة مريم.)

٣ – الخطابات الثلاثة في الدفاع عن الإيقونات: بعد أن أصدَرَ **لاون الثالث** مرسومه سنة ٧٣٠، لم يتأخَّر قدّيسنا في تأليف خطابه الأوَّل ليكونَ بمثابةِ مُرافعة مُرفَقة بمختارات من الشواهِد. فأضحى هذا الخِطاب أوَّل خُلاصة تُفَنِّد المَزاعِم المُناهضة للأيقونات، وتُبَرْهِن أنَّ إكرام الأيقونات إنَّما هو تقليد مُحكَم التأسيس منذُ البَدء.

وإثرَ بعضٍ من رَدَّات الفعل على الخطاب الأوَّل – والتي تُلَمِّح إليها مُقدَّمة الخطاب الثاني – سارَعَ إلى توضيحه وإكمالِه في خطابٍ ثانٍ حولَ الموضوعِ عينه.

وفي أواخِر حياته، أعادَ القدِّيس الكَرَّةَ منْ جديد إزاءَ تطوُّر الأزمَةِ على عهدِ **قسطنطين الخامس**، فكان خطابه الثالث مدعومًا هذه المرَّةِ بِأدلَّةٍ أوفَرَ وبزيادة ملحوظة على مختاراته الآنفة الذِّكر.

وقد وَصَلَنا ما يُقارب الثلاثين مخطوطًا عن هذا العمل، ولكن دون أنْ تكون الخطابات الثلاثة مجموعةً في المخطوطِ عينه. باستثناء مخطوط واحد يحويها كلّها، وهو **مخطوط نيابوليس** *54* (*II B16*) الذي يعودُ إلى القرن الثامن، والذي استند إليه **بونيفاس كوتر الألماني** (*Kotter*) في نَشْرِهِ لمُؤَلَّفات القدِّيس.

وإنَّ ترتيب هذه الخطابات الثلاثة قد يُحَيِّر البعض، بيدَ أنَّنا لا نُقَدِّم ثلاثة خطابات مُستقلَّة متتالية، بل خطابًا واحدًا كما جاءَ عند **كوتر** بُغية تسهيلِ قرائتها.

أخيرًا أراني مدفوعًا إلى الصمتِ، فقد آن الأوان ليتكلَّم القدِّيس، وحينما يتكلَّم الآباء القدّيسون، ما على الأبناء إلَّا الإصغاء بِشَغَف يَقِظ، والسعْي بِدَأْب مُقَدَّس إلى العملِ بما يُملُونهُ عليهم؛ فعسانا نكون من الأبناء الأُمناء، وعندئذٍ فقط نكون من عُبَّاد الله بالرُّوحِ والحَقِّ، هو السجود له آبًا وابنًا وروحًا قُدُسًا، الآن وإلى أبد الدهور، آمين. **(التتمة موجودة في صفحة ١٠ من مجلة نور المسيح رقم ١٩٩ لشهر آذار ٢٠٢٤)**

نـــور يسوع المسيح المسيـــح
ΦΩΣ الغالب XPIΣTOY

جمعية نور المسيح — السنة الثانية والثلاثون – عدد Issue No :1693
رقم:914 327 580 — غربي (24/03/2024) (11/03/2024) شرقي
NOUR ALMASIH / Light of Christ
Registered Society. No. 580 327 914

اللحن الأول

الأحد الأوّل من الصوم الكبير المقدّس

الأيوثينا التاسع

أحد الأرثوذكسيّة وانتصار الإيمان القويم

القديس صوفرونيوس بطريرك أورشليم

إنتصار العقيدة الأرثوذكسيّة،
على زمن الملكين،
ثاودورة وابنها ميخائيل – ٧٨٧م
أيقونة من القرن ١٤، المتحف البريطاني

طروبارية القيامة باللحن الأوَّل:

إنَّ الحجرَ لما خُتِمَ مِن اليهود. وجَسَدَكَ الطاهِرَ حُفِظَ مِنَ الجُند. قُمتَ في اليومِ الثالثِ أيُّها المخلِّص. مانِحًا العالَمَ الحياة. لذلكَ قُوَّاتُ السماوات. هتفوا إليكَ يا واهِبَ الحياة. المجدُ لقيامَتِكَ أيها المسيح. المجدُ لِمُلكِكَ. المجدُ لتدبيرِكَ يا مُحبَّ البشرِ وَحدك.

طروبارية للقيامة. وهذه على اللحن الثاني: لصورتك الطاهرة نسجد أيها الصَّالح طالبين مغفرة ذنوبنا ايها المسيح الاله. لانك ارتضيت ان ترتفع بالجسد على الصليب طوعًا لتُنجّي من عبودِيَّةِ العدوّ الذين جبلتهم. فلذلك نهتف اليك بارتياحٍ: لقد ملأتَ كلّ الخلائق فَرحًا يا مخلصنا بمجيئك لخلاص العالم.

الابوليتيكيَّة للبارِّ صوفرونيوس باللحن الرابع: لقد أظهرتك حقيقة الأحوال لرعيَّتك دستورًا للإيمان وتمثالًا للوداعة ومعلّمًا للإمساك ايها الأب البارُّ صوفرونيوس. فلذلك اقتنيت بالتواضع الرِّفعة واحرزت بالفقر الغِنَى. فتشفَّع الى المسيح الاله في خلاص نفوسنا

طروبارية شفيع/ ـة الكنيسة

قنداق الأكاثيستوس : اني انا مدينتك يا والدة الاله أكتب لك رايات الغلبة يا جندية محامية وأقدم لك الشكر يا منقذة من الشدائد لكن بما أنَّ لكِ العزّة التي لا تحارب أعتقيني من أصناف الشدائد حتى أصرخ اليك: افرحي يا عروسًا لا عروس لها.

الرسالة

مُبَارَكٌ أنتَ يا ربُّ إله آبائنا لأنَّك عدلٌ في كل ما صنعتَ بنا

فصل من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانين (عب ١١: ٢٤–٤٠)

يا إخوةُ، بالإيمان موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعَى ابنًا لابنة فرعون ✻ مختارًا الشقاءَ مع شعب الله على التمتُّع الوقتيّ بالخطيئة ✻ ومعتبرًا عار المسيح غنىً أعظم من كنوز مصر. لأنه نظر الى الثواب ✻ وماذا أقول ايضًا! إنَّه يَضيق بي الوقت إن أَخبرتُ عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل

والأنبياء ❊ الذين بالإيمان قهروا الممالك، وعمِلوا البِرَّ، ونالوا المواعِد، وسدّوا أفواه الأسود ❊ وأطفأُوا حدَّة النار، ونجَوا من حدِّ السيف، وتقوّوا من ضعف، وصاروا أشدَّاءَ في الحرب، وكسروا معسكرات الأجانب ❊ وأخذت نساءٌ أمواتهنَّ بالقيامة، وعُذِّب آخرون بتوتير الأعضاء والضَّرب، ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحصلوا على قيامة أفضل ❊ وآخرون ذاقوا الهُزءَ والجلد والقيود أيضًا والسجن ❊ ورُجموا ونُشروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف، وساحوا في جلود غنمٍ ومعزٍ وهم مُعْوَزُون مُضَايَقُون مجهودون ❊ (ولم يكن العالَم مستحقًّا لهم)، وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الأرض ❊ فهؤلاءِ كلُّهم، مشهودًا لهم بالإيمان، لم ينالوا الموعِد ❊ لأن الله سبق فنظر لنا شيئا أفضل؛ أنْ لا يَكْمُلوا بدوننا.

الإنجيل

فصلٌ شريف من بشارة القديس يوحنا الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (يو ١: ٤٤-٥٢)

في ذلك الزمان أراد يسوع الخروج الى الجليل، فوجد فيلبُّس فقال له: اتبعني ❊ وكان فيلبُّس من بيت صيدا، من مدينة أندراوس وبطرس ❊ فوجَد فيلبُّسُ نَثَنائيلَ فقال له: إنَّ الذي كَتَبَ عنهُ موسى في الناموس والأنبياءُ قد وجدناهُ، وهو يسوع بن يوسف الذي من الناصرة ❊ فقال له نَثَنائيل: أمِنَ الناصرة يمكن أن يكون شيءٌ صالح ❊ فقال له فيلبُّس: تعال وانظر ❊ فرأى يسوعُ نَثَنائيلَ مُقبلًا اليه فقال عنه: هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيهِ ❊ فقال له نَثَنائيل: من أين تعرفني؟ أجاب يسوع وقال له: قَبْلَ أن يدعوك فيلبُّس، وأنت تحت التينة رأيتُك ❊ أجاب نَثَنائيل وقال له: يا معلّم، انت ابنُ الله، انت مَلِك إسرائيل ❊ أجاب يسوع وقال له: لأنِّي قلتُ لك إني رأيتُك تحت التينة، آمنتَ! إنَّكَ ستُعاين أعظم من هذا ❊ وقال له: الحقَّ الحقَّ أقول لكم: أنكم من الآن ترون السماءَ مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن البشر.

الدفاع عن الإيقونات المقدسة – القديس يوحنا الدمشقي

«اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ...» (عبرانيين ١: ١-٣)

تمهيد: الأيقونة هي سِرُّ تَأَنُّسِ الله وتَأَلُّهِ الإنسان. إنَّها مُلَخَّص سِرِّ التدبير الإلهيّ الناجِز في تنازُل الابن الذي كَشَفَ لنا الآب، وَوَهَبَنا الرُّوحَ مِنْ لَدُنِ الآب، مُعْتِقًا إيَّانا من عبوديَّةِ الموتِ، ومُجْتَذِبًا إيَّانا بشبكةِ الصَّليب، الذي سُرَّ **الكلمة** أنْ يُعَلَّق عليهِ بالجَسَد، لأجلِ ٱستنارتنا بِمعرِفَتِهِ وٱتِّحادنا بِوِحْدَتِهِ. إنَّها قِمَّةُ مَحَبَّةٍ تَجْمَعُ الإنسانَ بكلمةِ اللهِ الذي هو صورةُ **الآب** غير المنظور، وَمسكنُ **الرُّوح القُدُس** المُنبَثِق من الآب، والمُستريحُ في القدِّيسين، والذي ارتَضَى بمشيئةِ صَلاحِهِ أنْ يُرى بالجَسَدِ، هو الذي تستحيلُ رؤيته في جوهره **الفائق الجوهر**، وإنْ ٱتَّخَذَ طبيعتنا، وصَارَ إلى ما لم يَكُن، حُبًّا منهُ للبَشَرِ، ورغبةً منه في رَفعِ المُؤمنين به حقًّا إلى حيثُ لم يبرح، أي إلى ملكوت الثالوث القُدُّوس الواحد غير المُنقَسِم.

الأيقونة مِنْ ثَمَّ هي سُلَّمٌ إلهيٌّ لهذه المحبَّة التي لا تُسبَر، ونافِذَةٌ على الأبَدِيَّة تحمل إلينا نَسَمَات المُعَزِّي، وَتَسْبينا إلى السبيل الفردوسيّ. إنَّها ظَفَرٌ للإيمانِ الأرثُوذُكسي (المُستقيم)، وَبَهجَةٌ لكنيسة الله الجامعة المقدَّسة الرسوليَّة. إنَّها فَخرٌ للمسيحيِّين، وَخِزيٌ لِمَنْ يُحارِبونَها. إنَّها سلاحٌ للمُجاهِدين، وهزيمةٌ لِمَنْ يضطهدونها. إنَّها سَنَدٌ للشُّهداءِ، وداحرةٌ **للشَّياطين**. إنَّها بِشارةٌ **بالألوان** لا بالكَلِمَات، ومائدة شُكريَّةٌ تحملُ إلينا نِعَمَ الأشفية مِنْ لَدُنِ المُخَلِّص. إنَّها نورٌ للسَّالِكين في ظلالِ الموتِ، وهداية للخطأةِ أي التوبةِ. إنَّها مدرَسةُ صَلاة تُواكِبُ الأقوال الإلهيَّة لِنُمُوِّ المُؤمنين بحَسَبِ الرُّوحِ. إنَّها سماء منفتحة على أرضنا باستمرار لِتُعَلِّمنا كيفَ نكونُ ملائكة في أجسادٍ لمَجدِ اللهِ السَّنِيِّ. إنَّها رِسالةُ حُبٍّ إلهيٍّ مَفْضُوضَةٌ يقرأُها الأُمِّيون أنفسهم، فيعرفون أنَّ الرَّبَّ قامَ حقًّا، وظَهَرَ لنا مُمَجَّدًا في قدِّيسيهِ. إنَّها سَفيرَةٌ للأمانة الإلهيَّة – هنا والآن – تَحُضُّنا على أنْ نكونَ في سلامٍ مهع الله وإخوتنا دائمًا ... وَلِأجلِ ذلك نُوَقِّرُها وَنُقَبِّلُها كما يليقُ باللهِ، ونَسجُد أمامها عابدين الله المُصَوَّر عليها، والمُتَجَلِّي في قِدِّيسيهِ المُصَوَّرينَ عليها، والجديرين بِكُلِّ ٱحترامٍ وَمَديحٍ، لأجلِ السيِّدِ المُستريحِ فيهم، نعمةً منه عليهم، وَجِهادًا منهم لأجلِهِ، وَقُدوَةً لنا لِنُجاهِدَ نحنُ أيضًا في سبيلِ هذه النعمة عينها.

١ – لمحةٌ تاريخيَّةٌ: في مطلع القرن الثامن، ثارَت حَرَكَةُ عِداءٍ تُجاه الأيقونَةِ المُقَدَّسةِ، ولا سِيَّمَا في **آسيا الصُغرى**، وقد حَصَلَ ذلك رُبَّما بتأثيرٍ مُشتَرَك من اليهوديَّة والإسلام كونَهُما دِيانَتَيْنِ مُعَادِيَتَيْنِ للصُّوَرِ. أمَّا **الإمبراطور البيزنطي لاون الثالث الإيصوريّ**، فإذْ داخَلَهُ الشَّكُّ بشأن الأيقونات؛ عَمَدَ إلى إقحام هذه الحَرَكة في النِّطاقِ السياسي، وفي سنة ٧٣٠ أصدَرَ مرسومًا يجعل الأيقونات في عداد الأمور الخارجة عن القانون. بيدَ أنَّ البطريرك القسطنطينيّ جرمانوس المُؤَيِّد للأيقونات، قد رَفَضَ الموافقة على هذا المرسوم، مُؤْثِرًا التَخَلِّي عن مَنصِبِه، والانسحاب إلى أحدِ الأديرة؛ كما اتَّخَذَ البابا غريغوريوس الثاني موقِفًا مماثلًا إزاءَ المرسومِ الإمبراطوريّ.

ومع ذلك، بَقِيَ تطبيق هذا المرسوم مُعتَدِلًا في أيام الإمبراطور. وما أنْ تَوَفَّى سنة ٧٤١ حتى خلفه **ابنه قسطنطين الخامس** الذي أعطَى بُعدًا جديدًا للصِّراعِ ضِدَّ الأيقونات. فقد أطلَقَ حملةً من الجدالات العامَّة للإقناعِ بوجهةِ نَظَرِه، وأنشَأَ مقالة تبدو وكأنَّها خُلاصة للاعتقادات المُناهِضَة للأيقونات، والتي ارتكز عليها من ثَمَّ أولئك الذين اقتفوا آثاره مِنْ بَعدُ.

وفي سنة ٧٥٤، دعا الإمبراطور إلى **مجمع هييريا** حيثُ دِينَت الأيقونات رَسمِيًّا، وَحُرِمَ مُؤَيِّدوها. وكان من عداد المحرومين البارزين قدِّيسُنا يوحنَّا الدمشقيّ الذي كان قد توفِّيَ قبل ذلك (حوالي سنة ٧٥٠)، والذي قيلَ عنه في المجمع المذكور بِأَنَّهُ مِمَّن يُجاهرون بآراءٍ مُحَمَّديَّة، وأَنَّهُ عدوُّ الإمبراطوريَّة، ومُعَلِّم الكُفْرِ وَمُوَقِّرُ الصُّور. كما نسَبَ هذا المَجمع ابتكار الأيقونات إلى إبليس، واستَنَدَ على المجامع المسكونيَّة السِّتة لِيُبَرهِن استحالة تصوير المسيح بِفصلِهِ طَبيعَتَيْهِ واحدتُهما عن الأُخرى، ولم يعترف بشرعيَّة أيٍّ من الصُّوَرِ ما خلا الصليب والإفخارستيَّا.

عندئذ بدأت المرحلة العنيفة الأولى ضدَّ الأيقونات، حيثُ شَرَعَ المُضطهدون في تحطيمِ الصُّوَر أيًّا كانت، وَوُضِعَ الصليب بدلًا منها في أماكن عديدة. وانبرى الرُّهبان خصوصًا يقودون المقاومة ضِدَّ هذا التدنيس الحاصِل، وضِدَّ تَدَخُّل السُلطة السياسيَّة في شأنٍ كَنَسيٍّ مَحض، مِمَّا أدَّى إلى وفرةٍ منَ الشُهداءِ الذين كان **جنود الإمبراطور** يُحَطِّمونهم بعد تحطيم الأيقونات.

وفي سنة ٧٧٥ انتهى الاضطهاد **بموتِ قسطنطين الخامس**. وبعد اثنتي عشرة سنة، أي في سنة ٧٨٧، إلتَأَمَ في نيقية المجمع المسكوني السابع الذي عَزَّزَ شَرعيَّة الأيقونات عَلَنًا، وَوَضَعَ حَدًّا للمرحلَةِ الأولى من الحربِ، وذلك لأنَّ مرحلةٍ ثانية ستبدأ من جديدٍ في القرن اللاحق، وحيثُ سيبرز في المُقاومة اللاهوتيَّة هذه المرَّة القدِّيس ثيوذورس الذي من دير ستوديون بالقسطنطينيَّة.

٢ – نِضَال القدِّيس يوحنَّا الدِمشقيّ: لم يتأَ لَّم قدّيسنا جَسَديًّا من اضطهادِ مُحطِّمي الأيقونات. فقد وُلِدَ وتَرَعْرَعَ في سوريا وترهَّب في فلسطين، وكان كِلا البَلدين خاضعين للسيطرة الإسلاميَّة آنذاك، ومن ثَمَّ فلَم يكن مُتعلِّقًا لا بالإمبراطور ولا بالبطريرك القُسطنطي، ولكنَّه كمسيحيّ شرقيّ ذي ثقافةٍ يونانيَّة، كان معنيًّا بالنزاعِ ولم يكن باستطاعته السُكوت عمَّا يجري. وقد استرعت كفاءَتُهُ اللاهوتيَّة انتباهَ البطريرك الأورشليمي يوحنَّا